

أبو الحسن علي بن الحسين السدي

المأساة الأخيرة في العالم العربي
دراستها من الناحية الدينية والخلقية والمبدئية والدعوية
و تحليل أسبابها و انعكاساتها

ملتزم النشر و التوزيع
المجمع الاسلامي العلمي (ندوة العلماء)
ص . ب . ١١٩ - لكهنؤ (الهند)

من مطبوعات المجمع الاسلامى العلمى - لكهنؤ (الهند)

رقم - ٢٣١

الطبعة الاولى

١٩٩٠م - ١٤١٠هـ

المطبعة الندوية

مؤسسة الصحافة و النشر

ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المأساة الأخيرة في العالم العربي

دراستها من الناحية الدينية والحلقية والمبدئية والدعوية
و تحليل أسبابها وانعكاساتها

الحمد لله وحده ، و الصلاة والسلام على من لا نبي

بعده .

و بعد ، فقد كانت أعمال حركة « رسالة الانسانية »
بـ « وسائل وإمكانيات محدودة » تجرى بنشاط ، وتموسع
آفاقها إلى نهاية شهر يوليو ١٩٩٠ م ، و قد كان مؤتمر دلهي
التاريخي المنعقد في ١٧ / مارس ١٩٩٠ م ، واجتماع لـ«كنهؤ
الناجح الذي انعقد في ٢ / يوليو ١٩٩٠ م خير مثال للتبول
و الشعبية التي كانت تنالها هذه الحركة ، و تأثيرها على
النفوس ، و مما يدل على هذه الشعبية المتصاعدة ، الخطابات

التي انتهت على مكتب الحركة ، و الطالبات التي تلقاها
المسؤولون بعقد هذه الاجتماعات في المدن الهندية الأخرى
و كانت هذه الرسائل تشف عن حرص المواطنين على
تصعيد هذه الحركة و تعميمها ، و عن رغبتهم الملحة في
حضور مثل هذه الاجتماعات ، و كان مما يبعث على
التفاؤل الكبير أن هذه الحركة بدأت تنال تأييد المثقفين
و أصحاب الآذان الخالية من العصبية الطائفية من
السياسيين ، و أصحاب الضمائر الحرة من المواطنين من غير
المسلمين ، و تسترعى استجاباتهم لدعوتها استجابة حارة ،
فأخذت هذه الدائرة تتوسع ، و لمع بريق الأمل على أفق
الهند بأن الضمير الوطني سينتصر نهائياً ، وأنه يمكن معالجة
هذا الوضع غير الطبيعي الذي يهدد سلامة البلاد في شكل
الاضطرابات الطائفية ، و سفك دماء الأبرياء ، و أن القوى
الفعالة الواعية ستدرك الخطورة ، و تصدى لها ، و تبذل
بمجهوداً مركزاً موحداً لتغيير هذا الوضع .
بجانب هذه التطلعات برز هناك عامل استبشار آخر

لا يقل عن انتصار « بالنسبة للملة الاسلامية في الهند ، حالها
و مستقبلها » وهو أن المسلمين في هذه البلاد بدأوا مرة
أخرى يشعرون بضرورة العودة إلى تمثيل دورهم كدعاة
الحق ، وحماة الانسانية ومعلى الأخلاق ، وبدأوا يفكرون
من هذه الزاوية ، فكان هذا الشعور معقد الأمل بأن
المسلمين سيستعيدون في هذه البلاد مرة أخرى دورهم
القيادى بجدارة واستحقاق و أنهم سيكسبون ثقة المواطنين
كمجدفين لسفينة البلاد، وكمقنين لها من الشقاء و الدمار ،
و يعتقد الناس أن جهة خدمة الانسان و الاخلاص في
حب الوطن كانت قد أصبحت مكشوفة غير محروسة منذ
زمن بعيد ، و أن المسلمين الذين يؤمنون بأن الله « رب
العالمين » و أن محمداً رسول الله « رحمة للعالمين » هم أجدر
و أحق بأن يتولوا هذه الزعامة ، و كان يتوقع أن هذه
الحركة الانسانية ، و المجهود الانسانى سيؤدى إلى إزالة سود
التفاهم و عدم الثقة و الكراهية بين المسلمين و غيرهم من
الطبقات ، و يكشف زيف الدعايات و الأباطيل الشائعة

عنهم ، و التي ألقى ظلالتها الكشيفة التاريخ المزور ،
والمصالح السياسية ، وبالتالي تنجو البلاد من الخطر المحقق
عليها نابعاً من الاضطرابات الطائفية ، و إراقة الدماء
و الأعمال و الأفعال التي تثير غضب الله و سخطه ، و
تجلب عقابه .

كذلك كان مما يبشر بخير ، و يبعث على التفاؤل
الكبير ، أن العالم العربي الذي كان الداعي الأول إلى
الاسلام ، و الذي يشمل المقامات المقدسة المباركة ،
و هو الحارس الامين لها ، و هو المختبر الأول لاحترام
الانسانية ، و العدل و المساواة ، و هو مهد الدعوة إلى
الامن و السلام ، يعيش منذ مدة بأمن و سلام و ثقة
متبادلة ، و رفاهية و رخاء ، و إحترام للانسانية ، و هو
في موقف لتوجيه الدعوة إلى العدل والانصاف ، واحترام
الانسان ، و التعايش السلمي ، إلى العالم الخارجي ،
وأن يقدم له من واقع الحياة ما فيه نموذج وقدوة ، وهو
يحمل كفاءة لأن يحتل المنصة العالمية لتوجيه هذه الدعوة

و يتولى مرة أخرى منصب الامامة و القيادة الانسانية .
كان هذا هو الوضع السائد إلى آخر يوليو ١٩٩٠م ،
فكانت الآمال معقودة ، وكان العاملون في مجال الدعوة ،
و الارشاد متفائلين ، رافعي الرأس ، و كان في عيونهم
بريق الامل ، فاذا بالعالم يهتز في ٢ / أغسطس ١٩٩٠م
بجائحة مروعة لم تنكس رؤوس الدعاة إلى العدل والاحترام
الانساني فحسب ، بل نكست رأس الملة الاسلامية بكاملها
داخل الهند و خارجها « و غضت بصرها ، و تندی لها
جبينها ، و إنى كدارس متواضع للتاريخ الاسلامي و مؤلف
فيه ، لا أذكر أن المسلمين من حيث الملة أصيبوا بمثل
هذه الصدمة العنيفة التي أدت إلى خجل و ذلة و مهانة
منذ قرون عديدة ، و تزيد هذه المأساة شدة و وطأة ،
أنها وقعت في منطقة عربية مجاورة للمنطقة التي كان منها
الاشعاع الأول لاحترام الانسان ، و العدل و الاحسان ،
و جزاء الاحسان بالاحسان و الكرامة ، و نجدة المظلوم
و الضعيف ، و تطور هذا الاشعاع إلى حركة عالمية

و دعوة طبقت الآفاق ، أعى بذلك الغزو العراقى المفاجئى
لللكويت ، الذى أذاعته محطات العالم و وسائل الاعلام
العالمية كصاعقة .

إن خطورة هذا الحادث المؤلم ، و ضخامته و تأثيره
السيئى على الضمير الاسلامى و الانسانى ، ترجع إلى أسباب
عديدة منها :

١- إن غزو بلد عظيم كالعراق لبلد صغير كاللكويت بعد
أن حقق ذلك البلد انتصاراً على بلد عظيم واسع
الأطراف كيران يقدم مثالا سيئاً لا يتطابق مع
التعاليم الاسلامية الخلقية ، و التقاليد الاسلامية
فحسب ، بل إنه يتنافى مع الضمير الانسانى ، و مبادئ
الأخلاق العامة ، و يعتبر اجراءً مذموماً ، و مرادفاً
للارصنة ، و مما يزيد خطورة أن كلا البلدين
المعتدى منهما و المعتدى عليه ، بلد مسلم و عربى ،
ثم إنه اعتداء لبلد على بلد كانت له منة و فضل عليه
فى العهد القريب فى وقت المحنة و البلاء ، و كان

قد أجزل العطاء عليه ، و لم تكن له جريمة يستحق
بها هذا العقاب .

٢- تعاقبت بعد غزو العراق للكويت و استيلائه عليها
الاعمال و التصرفات الشنيعة و المخزية التي لا يوجد
لها نظير إلا في تاريخ الغزاة و الفاتحين الجبابرة
المستبدين في تاريخ الحروب ، و الفتوح المماثلة ،
و قد أشار القرآن الكريم إليها بلسان ملكة سبا ،
فأصبحت خالدة إلى يوم القيامة :

، إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، و جعلوا
أعزة أهلها أذلة و كذلك يفعلون (١) .

٣- ثم إن القائد العراقي الرئيس صدام حسين قام بفسخ
كل ما سجله من بطولات و انتصارات و توضيحات
خلال حربه مع إيران بالصلح مع إيران ، على
شروط إيران ، من طرف واحد ، و طرح
بذلك جانب الحائط ما خاضه من معارك

(١) سورة النمل الآية ٣٤ .

ضارية معها لرفض هذه الشروط ، وما ضحى به شعبه
من نفوس غالية تبلغ مآت الآلاف ، و ما تسبب
منها من خسائر جسيمة ، و كان تنازله بمثابة إساءة
إلى تلك الأرواح الغالية ، و ذهبت دماء خيرة الشباب
ومماناتهم سدى ، واستحق أن يسأل : « بأى ذنب
قتلت (١) » .

إننا كنا نقرأ هذه الآية الكريمة :

« و قدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً
منثوراً » (٢) ، فكنا نعتقد « و تلك حقيقة » أن
الله تبارك و تعالى وصف في هذه الآية عاقبة الأعمال
في الآخرة ، و إنه ذكر مصير بعض النفوس التي لم تصدر
منها الأعمال الصالحة لنيل رضا الله ، و إنما كانت لغرض

(١) سورة التكويد الآية ٩ ، و قد تساءل وزير خارجية

بريطانية : ماذا كانت جريمة هؤلاء القتلى الذين قتلوا

في الحرب ، أليس ذلك ظلماً وإساءة إليهم ؟

(٢) سورة الفرقان الآية ٢٣ .

من أغراض الدنيا ، فحبطت أعمالها ، و بهذه التجربة مع
الرئيس العراقي في صدد التضحيات التي بذلت في الحرب
مع إيران ، علمنا مصداقية هذه الآية على الحياة الدنيا
كذلك ، و إن صاحب العمل نفسه يعامل أحياناً بالنسبة
لأعماله هذه المعاملة ، و يلجأ إلى موقف مضاد أو
معكوس تحبط به أعماله الجميلة ، فتصبح منجزاته هباءً
مثوراً .

٤- كان الرئيس صدام يعتقد به الأمل في بعض الأوساط
المتفائلة إنه قد يكون مؤملاً لملاذ الفجوة التي كانت
تلمس في قيادة العالم العربي أو يوفقه الله تعالى
للاجتهاد من أجل توحيد الصفوف و ترصيفها
لمواجهة إسرائيل .

و لكن خابت هذه الآمال والتطلعات ، و لم تلبث
هذه الآماني إلا قد انقلب هذا البطل المغوار على اخوته
وأشقائه وفتح جبهة جديدة داخل البلاد العربية ، فزحزح

كل ما يعتقد به المسلمون من أمل و ثقة ، بل بتعبير أصح
إنه حطم جميع هذه الآمال المعقودة به ، و خابت به
الظنون .

٥- إن غزو العراق للكويت ، و عدم إصفاؤه إلى
نداء القادة العرب و المسلمين و عدم إنصاته لنصيحتهم
و تماديه في موقفه ، و تغاضيه عن جميع المخاطر التي
تترتب من مثل هذا الموقف الطائش ، قد أثار
شبهات و مخاوف بأن لا يسوقه طمعه أو طموحه
— لا قدر الله — إلى التعرض للجزيرة العربية و على
أخصها المملكة العربية السعودية التي تتولى خدمة
الحرمين الشريفين و حفظها و صيانتها ، و الاحتفاظ
بقداستها ، و التي أنجزت تلك الخدمة التاريخية التي
لا يوجد لها نظير في تاريخ القرون الماضية في تأمين
الامن و السلامة للأماكن المقدسة ، و رعاية ضيوف
الرحمن و حسن و فادتهم ، و توفير وسائل الراحة

والأمان ، وخاصة توفير مياه الشرب ، والمواصلات ، فلا يطمع في المساس بها ، فتقع هذه المنطقة المحروسة عرضة لمطامعه و هوسه للقيادة و الحكم ، الذى لا يستبعد من أى قائد كان فى نشوة الانتصار العسكرى ، أو كانت وراه قوة عسكرية قاهرة ، وقد أشار شاعر الاسلام العلامة محمد إقبال فى شعر له إلى هذه الحقيقة التى يصدقها غزو العراق للكويت ، يقول :

« هذه رسالة التاريخ الخالدة أن نشوة القوة تنذر
بخطر جسيم » .

كانت هذه المخاوف و الشبهات التى لا تعتبر من المستحيل فى تاريخ القوى الطامحة ، هى التى حملت حكومة المملكة العربية السعودية على الاستعانة بالولايات المتحدة و بريطانيا لتهيئة الوقاية العسكرية ، و كم تمنى المسلمون فى العالم ، و خاصة المسلمين فى القارة الهندية (الذين تجرعوا مرارة السلطة الأوربية) لو كانت إحدى الدول الاسلامية

قادرة على الدفاع بنفسها عن جزيرة العرب ، و الحرمين الشريفين بمساعدة المملكة العربية السعودية عسكرياً في هذه الفرصة الغالية ، وتعتبر الدفاع عن هذه الأماكن المقدسة ، أكثر شرفاً و سعادة و اعتزازاً من الدفاع عن بلدها ، و تعده وسيلة للقربى عند الله و نيل رضاه .

٦- ولو قيل في تبرير غزو العراق للكويت ، و طمعه في البلد العربي الآخر : إن هذه البلدان العربية ، و الامارات الخليجية كانت تستدعى مثل هذه الاجراءات التأديبية منذ زمان ، و إنه كان نتيجة لحياة الترف و البذخ فيها ، و إن القرآن الكريم قد أشار إلى نتائجها السيئة و أندر منها ، فاني أقول باعتذار ، و أرى نفسى مضطراً إليه أنه لم يتجرأ أحد في الشطر الأخير من القرن الميلادي الجاري (١٩٤٠م - ١٩٩٠م) ليس في بلاد العجم بل في العالم العربي كله في نقد الأحوال السائدة في هذه المناطق كما وفق الله تعالى لذلك هذا العبد الضعيف ، و قد صرح ذلك

في كتاباته و كلماته التي ألقاها في مناسبات عديدة ،
و يرى ذلك من واجبه الديني (١) .

أقول إن علاج هذه الأوضاع لم يكن طريقه الصحيح
أن يغزو بلد كبير بلداً صغيراً غزواً مباحثاً ، ويستولى عليه
بلا هدف معين للدعوة و الإصلاح و تصحيح الأمور ،
و إنما كان علاجها الدعوة الإسلامية و الحركة المهادنة
للإصلاح ، و المجهود المخلص و الجسدي لأحياء الدين ،

(١) لتصديق هذا البيان يراجع كتاب : « العرب
و الإسلام » ، « إلى الإسلام من جديد » ،
« المسلمون و قضية فلسطين » ، « كيف ينظر
المسلمون إلى الحجاز و جزيرة العرب ؟ » ، « اسموها
منى صريحة أيها العرب » ، « اسمي يا مصر » ،
« اسمي يا سوريا » ، « اسمي يا زهرة الصحراء
(الكويت) » ، والكلمة الأخيرة التي ألقاها في جدة :
« حاجة العالم إلى مجتمع إسلامي مثالي أفضل » .

و الجهد لإنشاء نظام إسلامي صحيح في البلاد ، و منهج إسلامي للحياة ، و إنشاء نظام صالح للتعليم و التربية (يقوم بصياغة ذهن الشباب و النشر الجديد) و إيجاد مجتمع إسلامي مثالي ، و بيئة إسلامية صالحة ، تجذب القلوب ، و تؤلف النفوس و تكون قدوة للآخرين و مثالا لهم يقتدى به .

و لكن مع الأسف الشديد أن البلد الغازي . العراق — كما تدل عليه معلوماتي و دراستي — لا يتصف بأى وصف من هذه الأوصاف أو أى سمة من هذه السمات ، فلا مبرر له شرعياً ولا خلقياً لاقتحام مثل هذه المجازفة ، لقد أفلق هذا الحادث ذهني و فكري ، و أقض مضجعي إلى حد لا أذكر أني تأثرت مثله قبل حدوث هذه الفاجعة في حياتي ، لأنني — ذلك فضل الله و تقدير العزيز العليم — منذ أن تطورت في القدرة على الكتابة ، و الخطاب و الدراسة ، كرسيت ما كنت أملكه من قدرة محدودة للتعبير . و ما توفر لي من وقت ، على قضايا العالم العربي ،

و كانت الأمة العربية و الدول العربية مجال عملي و شغلي
الشاغل و موضوع دراستي ، و خطابي ، و كانت معظم
مؤلفاتي و كتاباتي باللغة العربية أصالة ، ثم نقلت هذه
المؤلفات إلى اللغات الأخرى ، و أستعير هنا ما قاله شاعر
الاسلام محمد إقبال تحديثاً بالنعمة ، و تعبيراً عن حقيقة
الحال ؟ .

« إن كان مزماري عجمياً ، فإن ألعانه عربية ،

ونعني عربي ، » .

ولصتني بهذه المنطقة قلبياً وفكرياً ، كان من الطبيعي
تألمني بهذه الحادثة المفجعة ، و ما يترتب منها من أخطار ،
و تهديدات للدول العربية المجاورة ، و خاصة أرض الجزيرة
العربية المحبوبة إلى النفس ، و الأماكن المقدسة ،
والحرمان الشريفان فقد عشت فيها قلبياً وذهنياً في الحقيقة
و الأحلام .

إن ما يتعلق بالجزيرة العربية ، و الحجاز المقدس ،
والحرمين الشريفين — زادهما الله شرفاً وحرمة — و ما

يتعلق بمستقبلها و حرمتها و كرامتها ، و قداستها و وقايتها
من المكروه بطرق غيبية حقيقة من حقائق التاريخ ، فانها
مهبط الوحي ، و مطلع الدين الاخير الخالد ، و الملجأ
الآخير له ، و يشهد القرآن ، و يشهد التاريخ أنها بقيت
مصونة و مأمونة منذ حادثة الفيل و غزو جيش أبرهة ،
وحتى بعد زوال الخلافة العثمانية التي كان سلطانها و خليفتها
يعد ذلك من شرفه و سعاده أن يصف نفسه بخادم الحرمين
الشريفين ، و بعد استيلاء الدول الأوروبية الاستعمارية
لمعظم البلدان العربية و الاسلامية بقيت على كرامتها و حرمتها ،
و ظلت هذه الأماكن في عيون المسلمين أغلى و أتمن
و أكرم من أوطانهم ، و لا يزال يرن في أذني ما قاله
العلامة محمد إقبال :

• فليتحدا المسلمون في العالم لحماية الحرم من ساحل

الذيل إلى سفوح كاشغر ،

إني واثق برحمة الله تعالى التي أحاطت دائماً بهذا الدين

الآخير ، و الدين المقبول عند الله ، و هو الاسلام ،

و يشهد به التاريخ ، أن هذه السحب المتراكمة ستنتشع
و ستزول المخاوف و الشبهات ، و سيطلع من خلال
هذه السحب الكشيفة ، والظلام الحالك ضوء جديد ، ينير
الطريق ، و يبعث على الطمأنينة ، و السكينة ، و يعيد الشرف
و العزة و الكرامة ، و الدعوة إلى الحق و إنقاذ الانسانية ،
و سيقول ممثل هذه الانسانية التائهة البائسة للدعاة الأولين
إلى الاسلام و الحاملين للقرآن ، و حراس الحرم :

« لقد دمرت القوى الطاغية الافرنجية هذا العالم ،
فانهض يا عامر الحرم و ابدأ بعمير عالم جديد » .

و لكن هذا الهدف لا يتحقق ، و هذا الحلم
لا يتحول إلى حقيقة إلا باحداث انقلاب في الحياة ، و السيرة
و السلوك ، و الأخلاق ، ليس في العالم العربي وحده ،
بل في سائر أنحاء العالم الاسلامي ، و في المجتمعات الاسلامية
إنه يتحقق بصياغة الحياة صياغة إسلامية ، و سببها في
بوقة التعاليم الاسلامية السمحة ، إنه يطلب إعادة الايمان
بصدق الاسلام و كونه منهجاً أبدياً للحياة و الدعوة إليه ،

وإتباعه في الحياة ، وإيجاد حماس و عاطفة له في القلوب ،
لأنه يحتاج إلى إتباع حياة وعهد الله تعالى النصر عليها ،
و الرحمة ، و الفضل ، و تجنب ما يسخط الله من أعمال
و عادات و سلوك ، و صدق الله العظيم .

« و لنصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى
عزيز ، (سورة الحج الآية ٤٠) .

